مقدمة القصيدة العربية عند عبدة بن الطبيب

(دراسة موضوعية تحليلية)

رشا كريم دنيف

جامعة ذي قار/ كلية الآداب/ قسم اللغة العربية

Bnoo20091@gmail.com

الملخص:

يعد عبدة بن الطبيب من الشعراء المخضرمين الذين أدركوا الإسلام وعاشوا فيه, وقد ذكرت المصادر أن شعره اختلف بين العصرين ؛فقد كان شعراً جاهلياً بألفاظه وأسلوبه وطريقته, لكن بعدما اسلم ودخل الاسلام اختلف شعره نوعاً ما؛ وذلك بحذف المقدمة من بداية القصائد وربما يعود سبب ذلك الى أنه شعر قيل في الفتوح الإسلامية والمعارك التي كان يقودها العرب المسلمون, وقد دارت مقدماته في ثلاث محاور هي:(الطللية, والغزلية, ووصف الناقة), وهذا بحسب ما جاء في كتاب شعر عبدة بن الطبيب للدكتور يحيى الجبوري, وقد ذكر مؤلف الكتاب في مقدمته, قلة الشعر الواصل الينا والمجموع للشاعر المخضرم.

الكلمات المفتاحية: (القصيدة العربية، عبدة بن الطبيب، موضوعية تحليلية).

Introduction to the Arabic poem by Abda bin al-Tibib (objective analytical study)

Rasha Karim Denif

Dhi Qar University/ College of Arts/ Department of Arabic Language

Abstract:

Abd al-Tabib is considered one of the veteran poets who realized Islam and lived in it. The sources have presented different sources between the two eras; It was poetry ignorant of its words, style and method, but he embraced Islam and Islam entered Islam, his poetry somewhat; And that is from the beginning of the poems, and starting from the beginning, in three axes: (the orders, the symbols, and the description of the camel), and the effect of what was mentioned in poetry, and Abda bin Al Tabeeb by Dr. Yahya Al-Jubouri Veteran Poet.

Keywords: (The Arabic poem, Abda bin Al-Tabib, analytical objectivity).

المقدمة:

وتدور المقدمة في محورين وهما كالتالي:

أولاً: حياة عبدة ابن الطبيب

هو يزيد بن عمرو بن وعلة بن أنس بن عبد الله بن عبد تيم بن جشم بن عبد شمس, ويقال: عبشمس بن سعد بن زيد مناة بن تيم فهو شاعر تميمي, إذ كانت تميم في الجاهلية تسمى عبد تيم, وتيم صنم كان لهم يعبدونه(١).

وكان عبدة بن الطبيب على عكس ما نسب لعشيرته(بني سعد) وما وصفوا بجمالهم؛ حيث كان عبداً أسوداً حبشياً. وقد كنيّ بأبي زيد, والطبيب لقب والده وكان اسمه يزيد(٢).

ويعد عبدة بن الطبيب من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا العصرين(الجاهلي والإسلامي), إذ أدرك الإسلام وأسلم وحسن إسلامه, كما أنه حارب الفرس بالمدائن وهو في جيش النعمان بن مقرن, وقد اشترك في قتال هرمز, ذلك في سنة١٣هـ مع المثنى بن حارثة(٣).

وقد افتقرت المادة التاريخية التي وصلتنا الى الكثير من المعلومات التي توضح سيرته وتشف عن جوانب حياته, غير إشارات يسيرة لا تعني شيئاً, حيث لا يمكننا من خلالها الوصول ومعرفة شيئاً عن اشرته, إلا أن له أبناء كان يوصيهم حين تقدم به العمر وأسن ورابه بصره, لكن بالرغم من ذلك لم يصلنا شيئاً عن هؤلاء الأبناء, إلا أن أحدهم كان يسمى بأثالا(٤).

ثانياً: بواكير المقدمة عند العرب:

إذ ما رجعنا الى بواكير المقدمات بكل أنواعها عند العرب من ضمنها الطللية والغزلية فضلاً عن وصف الناقة والظعن السائر, بالإضافة الى موضوعاتٍ أخرى

يختارها الشاعر, نجد أن علماء العرب, ومنهم الجاحظ وابن قتيبة وأبا حاتم السجستاني وغيرهم, قد اتفقوا على أن ابن حذام هو أول من وضع أصول المقدمة الطللية في القصيدة العربية وذلك استناداً الى قول امرؤ القيس:

عوجاً على الطلل المحيل لعلنا بنكي الديار كما بكى ابن حذام

حيث يشتد الشوق بامرئ القيس, فيطلب الوقوف والبكاء على تلك الديار الداثرة, كما بكى قبله ابن حذام, فلعل هذا البكاء يسعده ويخفف احزانه واشجانه تجاه هذه الديار, التي لم تنمحِ آثارها تماماً بل بقيت شاخصة, تقاوم عوادي الدهر وأيدي البلى(٥).

وقد فسر الكثير من النقاد ابتداء الشعراء بالمقدمة ومنهم ابن قتيبة, حيث ذهب في كتابه(الشعر والشعراء) الى القول في أن ابتداء الشاعر بالوقوف على الاطلال والدمن والآثار, فضلاً عن البكاء ومخاطبة الربع وغيره؛ ذلك ليجعل هناك سبباً لذكر أهلها الظاعنين عنها, وليس المتأخر أن يخرج عن مذهب المتقدم منهم في هذه الاقسام(٦).

كما يرى ابن رشيق أن سبب ابتداء الشعراء بالمقاطع الطللية؛ الى أنهم كانوا أصحاب خيام ودائمي التنقل من موضع لآخر؛ وبهذا فهم يبدؤون أشعارهم بذكر الأطلال والديار الداثرة(٧).

أما من علماء العصر الحديث, فنجد أن شوقي ضيف يذهب الى القول أن الشعراء قد وضعوا أنموذجاً للقصيدة العربية((فالشاعر يبدؤوها بوصف الأطلال والديار والنسيب ثم يستطرد الى وصف الصحراء وحيوانها الأليف والوحشي, حتى إذا فرغ من هذا الوصف خرج الى الغرض الأساسي لقصيدته من الفخر, أو المدح, أو الهجاء, أو الاعتذار, أو الرثاء, وربما ختمها بالحكم والأمثال))(٨), كما ذهب عبد القادر القط

الى تفسير ظاهرة ابتداء الشعراء بالمقدمة الطللية قائلا:((حين نتدبر طبيعة تلك القصائد التي تبدأ بالوقوف على الأطلال, ندرك أن هناك اتصالاً نفسياً بين المطلع وجو القصيدة العام يجعل من الأطلال((مفتاحاً)) للحال النفسية الغالبة على جو القصيد. فالشاعر لا يلح على وصف الأطلال, ولا يجهد نفسه ليبتكر في وصفها صوراً جديدة ولكنه يربطها ربطاً سريعاً بالمرأة ولا يلبث بعد بيتين أو ثلاثة أن يتركها لينتقل الى حديث عاطفي محوره ذكريات من الماضي يختلط فيها الحب الصادق والعشق العذري بمشاهد من سحر الشاعر ومتعته بصحبة جميلة))[٩] .

أما المقدمة الغزلية فقد ذهبوا الى أنها تالية للمقدمة الطللية, وأن المهلهل بن ربيعة هو أول من وضع الغزل في مقدمة القصائد, ونظم في الغزل واعتنى بالنسيب[١٠].

وفيما يأتي تقسيم المقدمات بحسب ما ورد في شعر الشاعر المخضرم, ومن الملفت, أن جلّ ما ورد من مقدمات عبدة بن الطبيب على الرغم من قلتها وقلة المصادر التي نقلتها ألا أنها تقع جميها في العصر الجاهلي ماعدا واحدة منها وسنتطرق الى ذلك في موضعه.

أولا: المقدمة الطللية: تعد المقدمة الطللية واحدة من أبرز الميزات التي تدل على نجاعة القصيدة وبروز معالمها في العصر الجاهلي؛ حيث يلاحظ أن المقدمة الطللية من((أكثر المقدمات انتشاراً في صدور قصائد الشعراء الجاهليين, إذ تتوالى صفوفاً في دواوينهم حتى تبلغ العشرات, على نحو ما نقرأ في ديوان عبيد أو طرفة أو النابغة الذبياني أو زهير بن أبي سلمى, أما ديوان بشر بن أبي حازم فقاربت مقدماته الطللية العشرين, ويكاد بذلك يكون أكثر من وصف الاطلال))[١١], إذ مثّلت هذه الاطلال والديار الدارسة رموزاً وشيفرات ملغزة توحي للمتلقي بالأثر العميق الذي تركه ساكني هذه الرسوم المندثرة.

وقد كانت حياة القبائل في العصر الجاهلي وصدر الإسلام وأكثر من ذلك دائمة الحركة والتنقل في الأغوار والانجاد والجبال والسهول فضلاً عن أجواف الصحارى وسواحل البحار, وقد كان رجال هذه القبيلة وشبانها يشغلون أنفسهم بالصيد ولعب الميسر وشرب الخمر أو الحديث عن عواطفهم ومغامراتهم اللاهية, فهذا كله أدى الى أن يكون الطلل الذي غودر ذو حضور بارز في قصائدهم؛ لما له من أثر عميق في وجدان الشاعر وأن يكنّ لها أسمى المشاعر وأعذب الأحاسيس؛ فالأطلال بالنسبة له تمثل الذكريات وملاعب الصبا والمرأة والحب والغزل وكل ما يبعث في نفسه الراحةوالسمو العاطفي[١٢].

وعندما نتأتي للشعر العربي ومفاتيح القصائد, تقف الاطلال شامخة في مطلع هذه القصائد, وكأن القصيدة الخالية من الطلل قصيدة مبتورة أو غير مكتملة وغير ناضجة عارية من سمة التحول الذي أرق العربي وأهمته[١٣], إذ تمثل المقدمة شارة بارزة في القصيدة اهتم بها الشعراء منذ القدم ؛لأنها((أول ما تفاجئ السامع فلا بد أن يكون لها وقع حسن, ولذلك حمد للشعراء مطالعهم الحسنة التي تكون واضحة سهلة المأخذ مع القوة والجزالة, وقد لاحظوا كذلك التناسب بين الشطر والعجز وترابط المعنى بينهما))[١٤], من ذلك قول الشاعر المخضرم عبدة بن الطبيب في مقدمته الجاهلية التي تكونت من ثلاثة أبيات لا غير:

خليليَّ مـــا انصفتمـــا إذ وجدتمـــا بذي الأثل داراً ثم لا تقفـــان
ولو كنتمـــا مثلـــي إذاً لوقفتما على الربع أو وجدي الذي تجـــــدان
فلا تقبلن الـــدهر من ذي خلاخـلٍ حـــديثاً ولا تؤمـــن لهـــا بأمان[١٥]

حيث يخاطب الشاعر صاحبيه ويعاتبهما لعدم الوقوف على الديار ومساءلة الأطلال الدارسة, فلا تكوي لوعة الفراق قلوبهما كما هو ,ولم يضنيهما ألم الاشتياق

والوجد, وقد بدا ذلك في البيت الثاني من المقدمة ,وذي خلاخل هي النساء المغادرات لهذا الرواسي والتي كانت عامرة بهن وبحديثهن الفتي. والحقيقة أن المقدمة الطللية ليست ضرورة للقصيدة الجاهلية وتقليد شائع فيها فحسب بل هي ضرورة للشاعر ايضاً؛ فهو بحاجة مستمرة الى ان يعيش جواً من الألم والمعاناة؛ ذلك لينطلق لسانه بالتعبير عن المشاعر الكامنة في قلبه, وينفتح له باب القول في موضوعات متعددة مرتبطة بالربع والخلان وهذا سبب يضاف الى تعلق الشعراء بالمحافظة على هذا التقليد المتبع في القصائد الجاهلية(١٦).

كما تدور موضوعية المقدمة الجاهلية أعلاه للشاعر المخضرم عبدة بن الطبيب حول العتب لصاحبيه لعدم مشاطرته حزنه, وذكر الشوق ولهفة اللقاء لأهل الديار الداثرة والتي كانت مملوءة بالحياة والأمان بوجودهم وأصواتهم فضلاً عن الأصوات المؤنسنة للأساور ورنات الخلاخل الحميلة.

ولم يعد الطلل وآثاره شارة بارزة من الحجارة والأثافي والنؤى, إنما أصبح شقوقاً وأخاديد تحتفر في القلب احتفاراً ,فتنبجس منها الاحاسيس, وقد اترعت هماً وحزناً, فإن كانت رمز استدعاء الماضي المنقطع, فقد أصبحت اليوم أوغل في الاتجاهين معاً, تنظر الى ماضي لم تنل منه حظاً لطيف الذكر, وتتشوق الى مستقبل لا تعرف عنه شيئاً(١٧) ومن ذلك ما جاء بقول عبدة بن الطبيب:

قفا نبكِ من ذكرى حبيب وأطـــلال بذي الرّضم فالرمّانتين فأوعـــال
الى حيث سال القنع من كلِّ روضـــة من العتكِ حوّاء المذاب محـــــلال(١٨)

لا يختلف موضوع هذه المقدمة كثيراً عن موضوع المقدمة في المقطع السابق, كما إن هذه المقدمة للشاعر المخضرم تُعد من مقدمات العصر الجاهلي التي يطمح فيها الى لقاء الحبيبة في القريب العاجل.

ويدعو الشاعر ابن الطبيب, صاحبيه الى التوقف عن البكاء على ذكرى الحبيب والديار الداثرة بذي الرّضم وهو موضع في ديار بني تميم باليمامة, حيث يتضح مدى التأثير الكبير للديار وآثارها على حياة الفرد في العصر الجاهلي باعتبار ان هذه المقدمة هي تمثيل لمقدمات ذلك العصر. فالمكان والانتماء له يعد من الظواهر الإنسانية التي تكتسب في أحايين كثيرة سمة الحضور الوجداني والعاطفي لدى الشعراء؛ ليشكل بالصورة الشعرية معادلاً نفسياً وشعورياً لحياة خاصة وزمن خاص, وبهذا يجد الشاعر الصعوبة لإيجاد نظير لتلك الحياة أو تكرار ذلك الزمن المغادر[١٩] ((ولا شك ان رؤية الشعراء المخضرمين للمكان عكست عندهم مفهوم الانتماء الذي تتأصل جذوره منذ أمد بعيد في التراث الشعري العربي القديم بوصفه سلاحاً يحمي الانسان ويؤصله ويعمق جذوره))[٢٠] في التاريخ.

وقد حظي المكان وآثاره باهتمام كبير من لدن شعراء العصر الجاهلي والمخضرمين ومنهم عبده بن الطبيب, فالمقدمات الطللية((في قصائد الشعراء المخضرمين ظاهرة أصيلة, في صور الانتماء وهي صورة مطردة توحي بالإخلاص للتراب الذي امتزج بذكريات اصحابه وتعطي الدليل الحي والقوي على علاقة الشاعر مع أرضه التي زرعها أحلاماً جميلة زاهية وملأها بذكريات الشباب الغض الذي غزاه دم الحياة, وكيف ينسى المرء نفسه وماضيه إذا مرّ بتلك المواضع))[٢١] ؛ إذ تذكر الشاعر الديار بأهلها الظاعنين عنها, فيخاطبها ابن الطبيب مستذكراً أيامه وملاعب الصبا وقد ذكرته الحبيبة بذلك, حيث نجد أن الكثير من الشعراء يربطون المقدمة الطللية بذكر المرأة؛ فهذه الأحزان التي اعترت صفوه وعصفت بهدوء نفسه ماهي الا نتيجة مغادرة الحبيبة لهذه الديار وتركها آثاراً داثرة دون حياة, فكلما رأى الديار تذكر هجر الحبيبة واعترته آلام ذلك. من ذلك قوله[٢٢]:

وذكرنيهـــا بعدمـــا نسيتها ديارٌ عليها وابلٌ متبـــــــق
بأكناف شمـــات كأن رسومها قضيم صناع في أديـــــم منمق
وقفت بها والشمس دون مغيبهـــا قريباً وهاد الشـــوق من يتشـــــوق
قليلاً فلمـــا استعجمت عن جوابنـــــا تعزيت عنها والدمـــوع ترقـــرق
فلا الدار تدنيها لنا غـــير فنية ولا حبها عن شاحط النأي يخلـــــق[٢٣]

يوضح الشاعر عبر السرد الشخصي ما يدور في نفسه عبر تقنية البوح المباشر, وبهذا تقودنا ميتاسردية المقطوعة أعلاه الى ما تنبع به ذاته من مشاعر وأحاسيس مؤلمة, حيث يدور موضوعها حول ذكر الديار التي تذكره بدورها بنأي المحبوبة وهجرانها, فنجده يوظف كلمة (ذكر) وما تضفي هذه الكلمة من معنى عميق يوحي بالدلالة الى مخلفات ذكرها في القلب والروح من أوجاع وأحزان مكبلة بعطرها الذي يميزه بفعل حاسة العاشق المحب.

وقد قدم الشاعر كل ذلك بشكلٍ سردي قصصي, حيث تذكر المحبوبة برؤية ديارها الدارسة, وكان الوقت حينها دون المغيب, حتى ناشد تلك المعالم فاستعجمت ولم ترد, فما كان منه إلا أن قابلها بالدموع الساكبة وهو ما أوحى اليه بقوله(والدموع ترقرق) فالرقرقة هي دوران الدمع في داخل العين تمهيداً لنزوله ساخناً لذكر المحبين, وفي نهاية المطاف يدخل اليأس في قلب ابن الطبيب من عودة محبوبته الى ديارها فلا الآثار تدنيها له ولا حبها تاركه.

ثانياً: المقدمة الغزلية:

لا تقل المقدمة الغزلية عن المقدمة الطللية أهمية وانتشاراً في فواتح القصائد الجاهلية , فالصفة الحسية غلبت على أذواق الشعراء, وهي صفة تتلاءم مع صورة الحياة الجاهلية آنذاك, والحقيقة أن الشعراء الجاهليين والمخضرمين افتتحوا قصائدهم

بالمقدمة الغزلية كثيراً, حيث تتألف هذه المقدمة من الحديث عن صدّ المحبوبة وهجرها أو بعدها وانفصالها ومن يخلفه هجرها وفراقها من ألم وشوق شديدين ودموع غزار يكسب الشاعر لهفة وحسرة للمحبوبة(٢٤).

وكما قلنا سابقاً أن المقدمة الطللية هي أقدم أنواع ((المقدمات التي ارسلها الشعراء وعنوا بها واستكثروها, وان الغزل كان في الأصل هو جزء من المقدمة الطللية وهذا يدل على أن المقدمة الغزلية لم تنشأ مع المقدمة الطللية بل تأخرت عنها, ثم بعد ذلك أخذت صورتها وشكلها على أيدي الشعراء الذين جاءوا بعد طبقة امرؤ القيس))(٢٥), وقد كان الشعراء لا يجدون الحرج من الابتداء بأسماء محبوباتهم حتى تكون الديار سبباً أساسياً لذكر محبوباتهم(٢٦) والتغزل بهن, وبهذا أخذ المطلع الغزلي مكاناً متميزاً في البناء الفني للقصيدة.

وقد عمد الشاعر المخضرم عبدة بن الطبيب في قصائده الى الاستهلال بالمطالع الغزلية ومن ثم يفضي الى غرضه الرئيس, حيث جاء عدد من اسماء النساء في شعره مثل: هند ابنة الزيدي(هنيدة), كذلك سلمى وأم عمرو, ولعل هذه الاسماء هي كنى لامرأة واحدة, وقد جاء ذكر هند في مقطوعتين من قصائده قوله:

كأن ابنة الزيـــدي يوم لقيتهـــا هنيدة مكحـــول المدامـــع مرشـــقُ
تراعي خذولاً ينفض المردشادنا تنوش من الضّال القذاف وتعلـــق
وقلت له يومـــاً بـــوادي مبايـــض ألا كل عانٍ غير عانيك يعتق
يصادف يوماً من مليك سماحـــةً فيأخـــذ عرض المال أو يتصـــدق
وذكرنيها بعد ما قد نسيتهـــا ديـــــارٌ عليهـــا وابلٌ متبعـــق(٢٧)

وقال في مقدمة أخرى ذكرى فيها حبيبته هند:

تأوب من هنـــد خيالٌ مـــؤرق إذا استيأس من ذكرها النفس يطـــــرقُ
وأكوارنا بالجـــــو جواذة بحيث يصيـــد الآبـــدات العسلـــــق
وحليت مبينـــاً أو مادان دونها إكامٌ وقيعانٌ من السرِّ سعلـــق
شامية تجزي الجنوب يقرضهـــا مراراً فواف كليلهـــــا ومحلقُ[٢٨]

المقدمتان من مقدمات وفواتح عصر ما قبل الاسلام أي العصر الجاهلي, وهذا ما تثبته الالفاظ الواردة والتي كثيراً ما وجدناها في الجاهلية ,كما أن اسم المحبوبة هنيدة أو هند وذكر ديارها الدارسة من وحي ذلك((فدواعي العصر الجاهلي في تشكيل مضامين القصيدة أبعد ما تكون من دواعي صدر الاسلام على سبيل المثال, فقد تغيرت المفاهيم والمنطلقات والاهداف والفكر عموماً))[٢٩].

وقد دار موضوع المقدمة الأولى كما هي عادة الشعراء في فواتح قصائدهم, حول المحبوبة التي كنّى عنها أول الأمر بـــ(ابنة الزيدي) وديارها الظاعنة عنها, في البدء نجد ان ابن الطبيب يسرد ملامح حبيبته ويوضح ذلك بقوله, أنها ذات عيون واسعة شديدة السواد, لا زالت في ريعان شبابها كالظبي الذي بانت قرناه للتو فترك حضن أمه. ويواصل الشاعر المخضرم سرده الشعري الى أن يصل بالقول بأنه أسير غير حرٍ بدونها وقد جرى ذلك الحوار بينهما بوادي مبايض وهو موضع وأسم لديار كانت تسكنها الحبيبة.

ثم أتت المقدمة الغزلية الثانية؛ لتواصل بدء الحديث السردي, حيث اعترى الشاعر ابن الطبيب هوس جنوني حتى بات يرى خيال المحبوبة يؤرقه طوال الليل, حتى إذا يأست نفسه من محبوبته عاد خيالها يطرق باب عقله مشغله بذكراها وتذكر ما جال بينهما من أمور تعرض كالسحاب أمام عينيه, وحتى الرياح الرواسي تتخالف فيما بينها وتعاكس بعضها البعض, إذ تعمل رياح الجنوب على طمر تلك الآثار وتغيير

معالمها, بينما تزيح رياح الشمال ما خربته نظيرتها الجنوبية, وكأن عبدة بن الطبيب من كل هذا يريد أن يوصل للمتلقي فكرة مهمة وهي مدى تعلقه بـــ(هند) محبوبته فلا زالت آثارها ومكانها الخالي يثير فكره ويشغل نفسه ويؤرقها, لكن دون جدوى من الوصال.

وقد افتتح الشعراء الجاهليون قصائدهم بالمقدمة الغزلية, كثرة مفرطة, حيث تتألف هذه المقدمة من الحديث عن المحبوبة والتغزل بها وهجرها أو بعدها وتركها, وما يخلفه كل ذلك من ألم وشوق مستبد ودموع ساخنة يسكبها الشاعر ألماً وحسرة, وسرعان من تنفذ الى خاطره أيامه السعيدة وذكرياته الجميلة حين اللقاء بمحبوبته, حيث يبوح كل منهما لصاحبه بحبه ويبادله الاعجاب والأشواق(٣٠).

ويذهب عبدة بن الطبيب الى ذكر الهجر وهياج الأشواق نتيجة بُعد المحبوبة بقوله:

هل حبل خولة بعد الهجر موصـــول أم أنت عنها بعيد الدار مشغـــــول
حلّت خويلة في دار مجاورة أهل المدائن فيها الدّيـــك والفيـــل
يقارعون رؤوس العجـــم ضاحيـــــةً منهم فوارس لا غـــزل ولا ميل
فخامر القلب من ترجيـــع ذكرتهـــا رسٌّ لطيف ورهنٌ منـــك مكبـــول(٣١)

تقع هذه المقدمة لأبن الطبيب الشاعر المخضرم ضمن مقدمات العصر الإسلامي, وقد استدلينا على ذلك من خلال الثيمات المعنوية المذكورة, ومن ضمنها المعارك التي خاضتها العرب ضد العجم عقب الفتح الاسلامي, وقد جاءت العجم بالخيول والفيلة في المعركة آنذاك.

جاءت مقدمة ابن الطبيب الغزلية تسرد لنا قصة الهجران الذي بادرت به المحبوبة(خولة) تاركة الشاعر يتلوى ويشكو ألم الفراق, فنجده يقدم الموضوع عبر

الاستفهام التصديقي, وكأنه يضع الموازين في معادلة الابتعاد, فخولة محبوبة مهاجرة والموضوع بيده بكونه العاشق المفارق؛ إذ يساءل نفسه عبر تقنية المونولوج الداخلي, بأن يصلها عبر حبل المودة والوصل أم أنه يتركها ويقطعها؛ لأنه مشغول وبعيد عنها, حيث يعرف موقع الحبيبة(خويلة), فهي في دار مجاورة حيث أهل الامصار والمدائن, ومكان الفرس حيث معاركهم واسلحتهم, وقد وصف الشاعر العرب المقاتلة للعجم بقوله:(لا عزل ولا ميل) وهي اشارة تدل على قوتهم وبسالتهم فلا يوجد فيهم اعزل السلاح ولا ضعيف القلب وممن لا يعرف بركوب الخيل شيئاً, ومن ثم يختم الشاعر مقدمته بنهاية مفتوحة, حيث خامر قلبه ذكراها ورجحه في ذاته حبٌ خفي وسرّي مرتهن ومكبل به, ولو تابعنا قصيدة عبدة بعد المقدمة المذكورة نجدها تصل لنحو أثنين وثمانين بيتاً شعرياً, ولا تختلف ألفاظها وكلماتها عن المقدمة في شيء وكأنها جميعاً مقدمة طويلة ذات موضوعٍ واحد.

ومن هذا نجد أن مقدمة ابن الطبيب الاسلامية لم تختلف عن المقدمة في العصر الجاهلية سواء على مستوى الموضوع أم الالفاظ, وما استدلنا على قولها ضمن الفترة الاسلامية, هو وجود ألفاظ العجم ومعاركهم مع المسلمين واستخدامهم للفيلة آنذاك.

وتنظم أم عمرو الى قائمة محبوبات عبدة بن الطبيب, حيث يشكو حبها وجذوها, وقد ذكرت الرواية في أن عبدة بن الطبيب أخطأ في قوله:(لا تجذي صرمنا), وهو غير جائز لأنه إذا قال: لا تجذي صرمنا فلا تجذي: لا تقطعي, فكأنه قال لها: اصرمينا, وهذا محال(٣٢).

يا أم عمرو لا تجذِّي صرمنا ... وكيف تصرمين حبل من يصـــــل
وذاك جهلٌ بكِ إلا أنّنـــا ... قاتلنا حبّك إن حـــــبٌّ قتـــــل
باكرني بسحـــرةٍ عواذلـــي ... ولومهـــــنَّ خبـــل من الخبل
يلمننـــــــي فـــي حاجة ذكرتهـــا ... في عصر أزمانٍ ودهرٍ قد نســـــــل(٣٣)

حيث يذهب الشاعر المخضرم الى ذكر لوعة الحب والاشتياق؛ ذلك بإسناد صفة القتل للحب, لكنه يضع شرطاً لذلك وهو إن كان الحب قد قتل محباً, فحتى العواذل اللواتي يحببنه قد بدى عليهن اليأس من هجر ذكراها فبدأن بالإفصاح عن اللوم من تجدد ذكراها في زمن ذهب وعبر.

ثالثاً: وصف الناقة

اعتنى العرب وخصوصاً في العصر الجاهلي بالناقة ووصفها, فهي مركبهم في البقاع النائية, اهتموا بها وبوصفها وقد استأثرت بحبهم؛ فهي الحيوان المناسب للحياة الصحراوية, ولذلك لا نجد قصيدة في العصر الجاهلي تخلو من وصف الناقة؛ إذ تعد الناقة بالنسبة لهم((مصدر الرزق والخير ورفيقة السفر الصبور على الأذى, تقطع الفيافي وتجتاب الفلوات دون كلل أو ملل, وقد وقف الشعراء يتأملون فيها. فوصفوا جسمها الضخم القوي, وشبهوه بالعلاة وهي سندان الحداد والقصر قصر الهاجري, والقلعة الضخمة, والصخرة الصلبة, ودققوا في أحوالها وسرعتها ونشاطها وعاطفتها وحنينها, فعبروا عن احساساتها ومشاعرها وأحوالها بعاطفة انسانية ومشاركة وجدانية لما يعاني هذا الحيوان))[٣٤], ومن ذلك ما جاء في قول ابن عبدة الطبيب:

عيرانةٌ كأتـــــان الضَّحل ناجيــةٌ إذا ترقَّص بالقــوز العساقيــل

من دونها لعتاق العيس إن طلبت خبت بعيدٌ نياط الماء مجهول[٣٥]

يعرض لنا الشاعر المخضرم ابن الطبيب, لوحة فنية رائعة في وصف الناقة, وهي من المقدمات الوصفية المطروقة عند شعراء العصر الجاهلي على الرغم من قلتها.

حيث يبدأ الشاعر بسرده الوصفي للناقة, فهي قوية تشبه العير في سرعتها ونشاطها, كما أنه يشبهها بالصخرة الناجية من عمق الماء, فيغمر الماء بعضها بينما يبقى بعضها الآخر ظاهراً فوق سطحه, وبهذا يعطينا الشاعر المخضرم صورة جميلة

للناقة في العصر الجاهلي توحي بمدى أهميتها بالنسبة للشاعر آنذاك, فوصفها بشعوره وصفاً رائعاً, فقد غلبت الصفة الحسية على أذواق الشعراء, وهي صفة تتلاءم مع صورة الحياة الجاهلية الوثنية, إذ نظروا الى الطبيعة ومنها الطبيعة الصحراوية, وما يستأنس فيها من حيوان, وما يتحمل لهيبها وجفافها منه(٣٦).

الخاتمـــــة

نستنتج مما سبق أن المقدمة العربية في قصائد الشاعر المخضرم عبدة بن الطبيب تنقسم من حيث القلة والكثرة ، الى المقدمة الطللية على الرغم من قلتها في قصائده, والمقدمة الغزلية وهي الأكثر بين مقدماته, ثم المقدمة الوصفية(وصف الناقة), وهي الأقل بين مقدماته حتى اقتصرت على مقدمة واحدة فقط. كما لاحظنا بحسب ما وصل الينا من مصادر شعره على الرغم من قلتها, أن المقدمة في العصر الإسلامي اضمحلت تقريباً؛ فلم نجد إلا مقدمة واحدة بدأ فيها الشاعر المخضرم عبدة بن الطبيب قصائده الإسلامية فيها وهي المقدمة الغزلية, فبحسب ما ورد في شعره بتحقيق الدكتور يحيى الجبوري وبحسب قصائده الاسلامية القليلة مما وصل إلينا, أن الشاعر كان ينفذ مباشرة الى غرضه الرئيس دون مقدمة لذلك, ومنها قصائد الفتوح الإسلامية.

الهـــــوامش

(١) شعر عبدة بن الطبيب, يحيى الجبوري:٥

(٢) ن.م: ن.ص

(٣) ينظر معجم الشعراء المخضرمين والأمويين, موسوعة شعراء العرب, عزيزة فوال بابتي:٢٦٩

(٤) ينظر شعر عبدة بن الطبيب:٥

(٥) ينظر مقدمة القصيدة في العصر الجاهلي, حسين عطوان: ٧٣-٧٤, ٨١, وينظر بناء القصيدة في النقد العربي القديم(في ضوء النقد الحديث):٢٠٤-٢١٦

(٦) ينظر الشعر والشعراء/١, ابن قتيبة الدينوري, تح أحمد محمد شاكر:٧٢

(٧) ينظر العمدة في محاسن أهل العصر وآدابه ونقده/١, ابن رشيق القيرواني, تح: محمد محيي الدين عبد الحميد:٢٢٥

(٨) في النقد الأدبي, شوقي ضيف: ١٥٤

(٩) في الشعر الاسلامي والأموي, عبد القادر القط:٢١٨-٢١٩

(١٠) ينظر الإغاني, أبو الفرج الأصفهاني/٥: ٥٧, خزانة الأدب, عبد القادر البغدادي/٢: ١٤٣

(١١) مقدمة القصيدة العربية في العصر الجاهلي, حسين عطوان:١١٦

(١٢) ينظر معاينة الطلل أرضية الانتماء المكاني- الشعر المخضرمين انموذجاً, رافعة سعيد حسين, محمد عبد القادر, مجلة زاخو, مج١,ع١: ١٦١

(١٣) فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية, حبيب مؤنسي: ٢٠

(١٤) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه, يحيى الجبوري:٢٤٣

(١٥) شعر عبدة بن الطبيب, يحيى الجبوري:٨٩

(١٦) أثر الثقافة في بناء القصيدة الجاهلية, أحمد الصادق الخازمي:٢١٣-٢١٤

(١٧) فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية, حبيب مؤنسي:٢٠-٢١

(١٨) شعر عبدة بن الطبيب:٩٤

(١٩) معاينة الطلل, أرضية الانتماء المكاني- الشعراء المخضرمين انموذجاً, رافعه سعيد حسين, محمد عبد القادر, مجلة زاخو, مج١, ع١: ١٦١

(٢٠) م.ن:١٦٢

(٢١) م.ن:١٦١

(٢٢) ينظر شعر عبدة بن الطبيب:١٩

(٢٣) م.ن:١٩

(٢٤) ينظر مقدمة القصيدة العربية: ١٢٨, ١٣٦

(٢٥) م.ن: ٩٥

(٢٦) أثر الثقافة في بناء القصيدة الجاهلية:٢١٦

(٢٧) شعر عبدة بن الطبيب:٥٣

(٢٨) م.ن:٥٤-٥٥

(٢٩) معاينة الطلل, أرضية الانتماء المكاني, الشعراء المخضرمين انموذجاً:١٦٩

(٣٠) ينظر مقدمة القصيدة العربية:١٢٩

(٣١) شعر عبدة بن الطبيب: ٥٨

(٣٢) ينظر شعر عبدة بن الطبيب:٨٥

(٣٣) م.ن:٨٦

(٣٤) الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه:٣٦٦

(٣٥) شعر عبدة بن الطبيب:٨٤

(٣٦) ينظر الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه:٣٦٥, وينظر مقدمة القصيدة العربية:١٣٧

المصادر والمراجع

- أثر الثقافة في بناء القصيدة الجاهلية, أحمد الصادق الخازمي, منشورات جامعة ٧ اكتوبر, المجموعة العربية للتدريب والنشر, ط١, ٢٠٠٨

- الأغاني, أبو الفرج الأصفهاني(٣٥٦ه -٩٧٦هـ) تح إحسان عباس, إبراهيم السعافين, بكر عباس, دار صادر – بيروت, ط١, ١٤٢٣هـ -٢٠٠٢م
- بناء القصيدة في النقد العربي القديم(في ضوء النقد الحديث), مكتبة الدراسات الأدبية(٥٠) , يوسف حسين بكار, دار الاندلس للطباعة والنشر والتوزيع, بيروت-لبنان, ط١, ب-ت
- خزانة الأدب ولبلباب لسان العرب, عبد القادر البغدادي(١٠٣٠-١٠٩٣), تح عبد السلام محمد هارون, نشر مكتبة الخانجي- القاهرة, ب-ط, ب-ت
- الشعر الجاهلي خصائصه وفنونه, يحيى الجبوري, دار الحقائق, بيروت- لبنان, ط٢, ١٩٨٠
- شعر عبدة بن الطبيب, يحيى الجبوري, دار التربية للطباعة والنشر والتوزيع, ب-ط, ١٣٩١هـ -١٩٧١
- الشعر والشعراء/١, ابن قتيبة الدينوري, تح أحمد محمد شاكر, دار الحديث, القاهرة-مصر, ب-ط, ١٤٢٣
- العمدة في محاسن أهل العصر وآدابه ونقده/١, ابن رشيق القيرواني, تح: محمد محيي الدين عبد الحميد, دار الجبل, ط٥, ١٤٠١هـ -١٩٨١
- فلسفة المكان في الشعر العربي قراءة موضوعاتية جمالية, حبيب مؤنسي, من منشورات اتحاد الكتاب العرب, دمشق, ط١ ,٢٠٠١
- في الشعر الاسلامي والأموي, عبد القادر القط, دار النهضة العربية للطباعة والنشر, ب-ط, ١٤٠٧هـ -١٩٨٧
- في النقد الأدبي, مكتبة الدراسات الأدبية, شوقي ضيف, دار المعارف, ط٩, ب-ت

- معاينة الطلل أرضية الانتماء المكاني- الشعر المخضرمين انموذجاً, رافعة سعيد حسين السراج, محمد عبد القادر حسين, قسم اللغة العربية, كلية التربية, جامعة الموصل, مجلة زاخو, مج١,ع١, ٢٠١٣
- معجم الشعراء المخضرمين والأمويين, موسوعة شعراء العرب, عزيزة فوال بابتي, دار الصادر للطباعة والنشر, بيروت- لبنان, ط١, ١٩٩٨
- مقدمة القصيدة في العصر الجاهلي, حسين عطوان, دار المعارف مصر, ب-ط, ب-ت.